القصة القصيرة جدًا النسوية الجز ائرية وإشكالية الماهية

The very short story of Algerian feminist and problematic identification

د/ فائز بيوض

أ/ موسى بن حداد

جامعة الحاج لخضر- باتنة1 (الجز ائر)

الملخص:

تعد القصة القصيرة جدا فنا جديدا، وهو امتداد لسلسلة التطورات التي مست بدن القصة شكلاً ومضمونًا، له سماته وآلياته التشكيلية الخاصة به، ظهر عند الغربيين أولا، ثم انتقل إلى الوطن العربي بعد ذلك، لكن ظهوره تأخر نسبيا في الجزائر بسبب المعارضة الشديدة التي لقيها من لدن النقاد والصعوبات التي تقف حائلا أمام انتشارها، ضف إلى ذلك الغموض الشديد الذي يلفها سواء ما تعلق بالجانب المفهومي أو المصطلحي أو الجانب التشكيلي، إلا أن ذلك كله لم يمنع ظهور أسماء نسوية على الساحة الإبداعية الجزائرية أخذت تخطو خطواتها الأولى في هذا الفن، واستطاعت في وقت وجيز أن تعكس إمكانات كبيرة وبراعة فائقة في الصياغة والتعبير.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة جدا، الكتابة النسوية، الجزائر، بين القبول والرفض، المسميات، تعدد المفاهيم.

Abstract:

The very short story is a new art, and it is an extension of the series of developments that touched the body of the story in form and content, has its own characteristics and formative mechanisms, appeared with the Westerners first, then moved to the Arab world after that, but its appearance was relatively late in Algeria because of the strong opposition he received from Criticism of the critics and the difficulties that stand in the way of its spread, add to that extreme ambiguity that surrounds it, whether related to the conceptual or terminological or the formal side, but all this did not prevent the emergence of feminist names on the Algerian creative scene that took its first steps in this art, and was able to A short time to reflect Potential is great and has great craftsmanship and expression.

Key words: The very short story, feminist writing, Algeria, between acceptance and rejection, nomenclature, multiple concepts.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في كونها:

1 . تتناول شكلا قصصيا جديدا، يتمثل في القصة القصيرة جدا النسوية كتجربة إبداعية ناشئة.

2 . تبحث عما يميز هذه التجربة الإبداعية بوصفها فنا نثريا لم ينل . في تقديرنا . حقه من الدراسة.

3 . السعي لإبراز ما يميز هذا الشكل السردي النسوي القصير جدا حتى استطاع أن يأخذ مكانه بين المتون السردية الطويلة.

إشكاليتها:

لعل أهم تساؤل قد يُطرح يتعلق بالجانب الجمالي الفني الذي قد تضيفه القصة القصيرة جدا في التجربة النسوية، وهل اعتماد هذا الشكل القصصي المستحدث هو يعد جهدا يضاف إلى جهود مماثلة لتلبية حاجة ملحة لاستدراك فراغ أو عجز ما في مجال السرد؟ هل القصة القصيرة جدا تحقق الغاية ذاتها التي تحققها الأشكال السردية الأخرى؟ وإذا كان الحال كذلك فهل استطاعت فعلا أن تصل إلى مرحلة الإبداع؟

مقدمة:

ظهرت مؤخرا أسماء مبدعات جزائريات بدأ يسطع نجمهن في سماء فن جديد هو القصة القصيرة جدا، ورغم أن عددهن يعد على رؤوس الأصابع إلا أنهن أوضحن جليا امتلاكهن لناصية الكتابة في هذا الجنس الجديد الذي يعد مجرد ولوج بابه أمرًا عسيرًا، وليس بمتناول أيا كان، ومن هذه الأسماء نجد: (رقية هجريس، آمال شتيوي، لامية بلخضر، الدكتورة وافية بن مسعود، حسناء بروش، سميرة منصوري)، وهذا لعمري عدد قليل إذا ما قارناه بالعدد الهام من القاصين والقاصات في الجزائر، كما يصبح هذا العدد نسبة ضئيلة جدا إذا قورن بغيره ممن يكتب في هذا الجنس الجديد في المغرب وتونس وليبيا وباقي أقطار المشرق العربي. فحتى هذا الجنس ظل غير مرحب به في الجزائر مدة ليست بالقصيرة اللهم ما بدأنا نتلمسه من اهتمام بدأ يظهر للعلن شيئا فشيئا لدى بعض القاصين والقاصات من أمثال هؤلاء الذين سبق وذكرناهم.1

ونحن في هذا المقال نحاول كشف النقاب عن القصة القصيرة جدا النسوية في الجزائر، من خلال طرح مجموعة من الإشكاليات، إذ كيف كانت بداياتها؟، ثم إشكالية

التسمية والمفهوم؟ وأخيرًا موقف النقاد منها؟ موظفًين في ذلك المنهجين التاريخي والوصفي، ويكمن القول أن أهمية المقال تكمن في رؤيته البانورامية والشمولية إذ ينطلق من التأسيس الغربي لهذا الفن الجديد مرورًا بالوطن العربي وانتهاءً بالجزائر، ثم تعدد القضايا التي يطرحها في هذا الشأن.

3- القصة القصيرة جدا في الجزائر بين القبول والرفض:

لم تلق القصة القصيرة جدا في الجزائر من الترحيب ما لقيته الرواية والقصة، رغم تأخر ظهورهما في الجزائر مقارنة بالدول العربية، إلا أن ذلك لم يمنعها من التطور والنجاح، فقد مرت الرواية وعبر عمرها القصير بعدة تحولات بداية من المرحلة الكلاسيكية مرورا بالحديثة وانتهاء بالمعاصرة، أين صارت ملتقى الأجناس، واعتمدت مبدأ التجريب الذي جعل منها أنموذجا بوليفونيا بامتياز، وكذلك الأمر بالنسبة للقصة والقصة القصيرة التي انبثقت منها والأمر نفسه بالنسبة للقصة القصيرة جدا، لكن هذه الأخيرة أثيرت حولها الكثير من اللغط والجدال، وتراوحت مواقف النقاد بين القبول والرفض، وكثرت الدراسات وأقيمت الملتقيات والمهرجانات والندوات حولها. لكن أيا من ذلك لم يحدث في الجزائر في بدايات ظهور هذا النوع، وما هو موجود لا يتعدى أن يكون موقفا سلبيًا منها.

نحن نحاول الكشف عن سبب عدم اهتمام النقاد والدارسين بهذا الجنس الجديد وهو هذا الاعتناق المقدس والغير مبرر للرواية التي استحوذت على نسبة كبيرة من الدراسات، إضافة إلى تركيز الجامعات الجزائرية عليها تدريسا وبحثا، وتحول الكثير من المبدعين اللذين كانوا يمارسون كتابة القصة والقصة القصيرة إلى الرواية لأنها في نظرهم الفن الوحيد القادر على استيعاب طموحهم والتعبير عن مكنونات أنفسهم، إذ فيها من الفسحة والحرية ما يتيح لهم الغوص في تصوير الواقع بكل ما فيه، ومن خلاله يكمل المبدع نواقصه، ويجسد ما يعجز عن تمثيله في الحقيقة، فالرواية بهذا التصور الوعاء الذي يحوي أيديولوجيات وعواطف وهموم وآمال الذات والجماعة في رحاب هذا الكون الفسيح.

إضافة إلى جدة هذا الجنس وغموضه وغياب التنظير والإشهار لمثل هذا النوع على الساحة الأدبية والنقدية، وميل الكثير من النقاد إلى معالجة المواضيع والقضايا المستهلكة بكثرة على بذل جهد يساهم ولو بجزء بسيط في تعريف المتلقي بهذا الفن، وتوجيه المبدعين الوجهة الصحيحة حتى يأتوه على أصوله لئلا يسارع كل من هب ودب إلى الخوض في غمار فن هو براء من ترهاتهم ونزواتهم الطائشة.

يوحي عدم اهتمام النقاد بهذا النوع الجديد والغريب عن الثقافة العربية نظرا لكونه فنا غربيا نشأ ونما في مفارخ الثقافة الغربية إلى حقيقة أخرى هي غياب الوعي لدى كثير من هؤلاء النقاد، أو بالأحرى سيرهم على نهج رأي ناقد واحد يطلق حكما يتلقفه غيره، ويعتبره حكما فصلا ومطلقا لا يقبل النقاش والخوض فيه، على اعتبار أن هذا الناقد له باع طويل في مجال النقد، ومجرد التعليق عليه يعد نوع من التجني بحقه.

2- القصة القصيرة جدا بين الإبداع ورأي الدارسين:

هؤلاء الدارسون يرون أن جنس القصة القصيرة جدا غير قادر على التعبير عما يوده المبدع، وهو لا يلبي رغباته، وليس فيه ما يصلح للدراسة؛ لأن منهم من لا يعده جنسا قائما بذاته انحدر من صلب القصة والقصة القصيرة، وأضحى له مبدعوه ونقاده سواء عند الغربيين أو في باقي أقطار الوطن العربي، ولنا في المغرب أصدق مثال على ذلك.

يقول الباحث الجزائري "علاوة كوسة" أكاد أجزم من خلال بحوثي الأكاديمية ومتابعاتي النقدية بأن حظ القصة القصيرة جدا يكاد يكون منعدما، فما أسباب ذلك وهل نملك مدونة قصصية قصيرة جدا حتى نتحدث عن متابعات نقدية لها؟ وهل نملك بالأساس نحن الجزائريون تصورا أوليا لهذا الجنس الأدبي؟ وهل قرأنا يوما عن كتب تنظيرية له كما فعل كثير من النقاد العرب وفي مقدمتهم الدكتور حميد لحمداني في كتابه الرائد" نحو نظرية منفتحة للقصة القصيرة جدا؟"2.

ما يمكن قوله ردًا على هذا الكلام؛ هو أننا نوافقه في ما يخص غياب الدراسات النقدية الموازية سواء التنظيرية أو التي تتناول ما ظهر بالدراسة والتحليل، أما ما يخص المدونات الإبداعية فربما هذا الحكم بالنفي يشمل ما قبل العقد الأول من القرن الواحد والعشرين لكن مؤخرا بدأت أنظار بعض المبدعات تتجه صوب التأليف في القصة القصيرة جدا، وقد أخذت هذه المحاولات في الازدياد، ولئن كان بعضها أقرب من حيث الشكل إلى قصيدة الهايكو، وخلو بعضها من بعض أنماط البدايات والنهايات.

لكن يمكن القول: أن بعض المبدعات قد أنتجن نماذج قصصية غاية في الروعة والبراعة رغم حداثة عهدهن بالكتابة في هذا النوع الجديد. وإن كان مثلما يقول " علاوة كوسة" عن غياب الوعي والاطلاع على بعض ما كتب في هذا الخصوص من لدن النقاد، إلا أن ذلك لا ينفي عن المبدعين اطلاعهم على ما كتب حوله سواء كمدونات أو كتب تنظيرية وإلا كيف نفسر إخراجهم لنماذج قصصية قصيرة جدا متمثلة جميع خطوات الكتابة في هذا الفن، وبالتالي تصبح لدينا على الأقل حقيقة واحدة وهي مواكبة المبدعين لكل ما يستجد على الساحة

الإبداعية، ويبقى التقصير من جانب هؤلاء النقاد الذين – حسب اعتقادنا- يختارون ما ينقدون حسب ميولاتهم وأمزجتهم ومقدرتهم الثقافية والمعرفية.

إذا، "فعلاوة كوسة" أصاب في جانب، ولكنه أخطأ فيما يتعلق بالجانب الإبداعي، صحيح أنه إذا ما قورن بغيره من الأوطان العربية يعد شيئا محدودا، ولكنه في النهاية يبقى إبداعا وهو آخذ في النمو والتطور التوسع.

ولعل ما يعضد قول " علاوة كوسة" استطلاع " نوارة لحرش" عن القصة القصيرة جدا حيث تقول:" القصة القصيرة جدا في الجزائر، ظلت كفن غير مرحب به، في حين يُحتفى بها وبشكل كبير ومتواصل في كامل الوطن العربي، حيث تشهد الكثير من الاعتناء والاحتفاء وهذا بإقامة ندوات ومؤتمرات ومسابقات ودراسات ومقاربات ومخابر بحث خاصة بها وبعوالمها وكتابها، كما تفتح دور النشر أبواب وفرص النشر الواسعة، عكس ما يحدث هنا حيث تحجم أغلب دور النشر عن قبولها وطبعها تحت مبررات مختلفة، فلماذا هذا الإجحاف في حق هذا الفن؟ ولماذا النقد يتجاهلها ولا يلتفت إليها وغير مبال بها. لماذا هذا الموقف من النقد تجاه هذا الفن وهل اتهامات بعض النقاد لكتابها باستسهالهم لها ولكتابها وبأنهم عجزوا عن ولوج القصة القصيرة والرواية لهذا عوضوا عجزهم بفن القصة القصيرة جدا، اتهامات صحيحة أم لا أساس لها من الصحة؟ وهل ستنتزع لها مكانة وسط الفنون الأدبية الأخرى؟ أم ستظل مقصية من النقد ومن الاهتمام والحضور؟"3.

يمكن القول أن حال القصة القصيرة جدا لدى كلا الجنسين هي غير حالها في الوطن العربي مشرقه ومغربه، ففي الوقت الذي يشجع المبدعون للمضي قدما في هذا المضمار وتطرح دور النشر كامل التسهيلات وتعقد الملتقيات والندوات والأيام الدراسية الخاصة بهذا الفن نلمس العكس في الجزائر فمن إعراض النقاد إلى عراقيل دور النشر إلى غياب الاهتمام بكافة أشكاله. فحتى اتهام النقاد هؤلاء المبدعين بالعجز وعدم القدرة على الكتابة في الرواية أو القصة القصيرة هو اتهام باطل وغير مؤسس، ونحن نرى أن هؤلاء النقاد لم يجدوا من سبيل لتغطية عجزهم وتهاونهم بالدرجة الأولى سوى بإلقاء اللوم كاملًا على عاتق هؤلاء المبدعين.

عرف الإبداع النسوي المتعلق بالقصة القصيرة جدا في الجزائر بعض الانتعاش حيث بدأت تظهر إلى الوجود أقلام مبدعة تحاول أن تصنع اسما لها على الساحة الأدبية، ولئن كانت بدايات كل جنس غالبا ما تكون عفوية عن غير وعي أو تبصر؛ " لأنه ليس كل نص قصير الحجم اعتمد الإيجاز والاختصار يُعَدُّ "قصة قصيرة جداً؛ كما قد يتوهم البعض، بل إن الذي يحدد هوية النص وانتماءه إلى فن القصة القصيرة جداً، هو لغته الشعرية المكثفة، إلى جانب الأركان والخصائص الجمالية، وكذا التقنيات الفنية والأسلوبية التي يتكئ عليها القاص في نسج

خيوط نصه القصصي"4، حتى يمكننا القول أن هذا النص ينتمي إلى جنس القصة القصيرة جداً.

إلا أنه يمكن القول: أنه مؤخرا بدأت تلوح في الأفق محاولات فتية وجادة في هذا المضمار تحاول تقصي قواعد وسمات هذا الفن ما أمكنها ذلك.

3- تعدد مسميات القصة القصيرة جدا:

إن محاولة إيجاد مفهوم دقيقٍ وشاملٍ لأي جنس من الأجناس الأدبية أمرٌ غاية في الصعوبة، فما بالنا بالقصة القصيرة جدا، إذ يحضر مصطلح النِّسبية في كل شيء ، وأي مفهوم يصاغ لهذا الفن أو محاولة تحديد له تبقى بعيدة عن الدقة نسبيا ذلك أنَّ القصة القصيرة جدا تختلف عن غيرها وذلك لعدة عوامل لعل من أهمها: حداثة هذا الفن، ووفودها إلينا من الغرب بشكلها الفني المتفق عليه، الدراسات الفردية وغياب الاتفاق ومحاولة كل طرف الظفر بالريادة في كل شيء، اختلاف توجهات أولئك الدارسون. ومنه؛ فإن الأدب عامة والقصة القصيرة جدا خاصة لا تخضع لحدودٍ وقوانين صارمة وبديهية كما هو الحال في العلم.

ومنذ ظهور فن القصة القصيرة جدا أثار الكثير من الجدل حوله وما يزال، فهو كغيره من الفنون والأجناس التي لم يتفق حولها بمفهوم ومصطلح موحدين ودقيقين، وذلك لأسباب مختلفة منها ما يعود إلى مجال تكوين الدارس، ومنها ما يرتبط بمشارب وتوجهات الباحثين...، ولم يستقر الجدل إلى هذا الحد بل تعداه إلى طبيعة بناء هذا الجنس وسماته المميزة وما يعالج، لكن رغم ما لقيته من صعوبات خاصة في الجزائر على سبيل المثال☹رفض دور النشر لهذا الجنس، غياب الاهتمام سواء من لدن النقاد أو البحث الأكاديمي، غياب الإشهار لمثل هذا الجنس الأدبي عدم معرفة الكثيرين نقادا ومبدعين لماهية هذا الفن...)،إلا أنها بدأت تفرض نفسها بخطوات ثابتة ومنتظمة وبشيء من الإصرار حتى غدا ما عاد بالإمكان تجنبها، وهو الشيء الذي فرض البدء بالاهتمام بها كتابة ودراسة في شكل خطابات موازية.

يمكن القول أن الإرهاصات الممهدة لظهور هذا النوع ليست جديدة بل تعود إلى سنوات مضت، فهي مثلها مثل بعض الأجناس وليدة ظروف الحداثة والتجريب وحاجة الإنسان المستمرة للتغير والتجديد، - وهي في الأغلب سليلة القصة والقصة القصيرة- وإحساس الإنسان بآليته إزاء نظام الحياة المعاصرة المتطورة علميا وتقنيا5. وهذا خلق لديه شعورا بالتضحية بقيمه ومبادئه، ولعل هذا ما أدى بالكتاب إلى محاولة التحرر من كل تقليد من خلال اعتماد مبدأ التجريب على مستويات مختلفة مضمونية وشكلية. كفرصة أخيرة لاحتواء هذا الواقع الغريب المليء بالغموض والتناقض وفي الوقت نفسه إثبات الهوية والذات والتكيف مع هذا الواقع بكل تحولاته.

ولعل بدايات هذا الفن تعود حسب بعض النقاد المهتمين بهذا المجال إلى " ناتالي ساروت" في أضمومتها القصصية " انفعالات قصص قصيرة جدا"سنة 1938م6.لكن حسب "امتنان عثمان" فإن هذه المحاولة لم يدرجها الدارسون تحت فن القصة القصيرة، أو أي جنس أدبي، كما أن جميع دور النشر كانت قد رفضت نشرها في بادئ الأمر7.

والكثير من الدراسات التي واكبت هذا الفن لم تستطع تحديد التسمية أو المفهوم بدقة مما أدى إلى ظهور مسميات ومفاهيم عديدة أوقعت المتلقي في الخلط. والتصنيفات التي أتى بها النقاد غير دقيقة أو حاسمة فمثلا:" محمود ذهني" يصنف هذه المصطلحات تصنيفات مختلفة منها: تصنيف أمريكي يعتمد الفرق بينها على عدد الصفحات فتكون الرواية أكثر صفحات والأقصوصة أقل عددا منها بكثير بحيث لا تتعدى السبع صفحات على الأكثر، وتقسيم أخر يعتمد زمن القراءة وتكون الأقصوصة الأقل استغراقا للوقت، وتقسيم إنجليزي يعتمد الأحداث من حيث أحاديتها أو تعددها، وتقسيم فرنسي يحتكم إلى التجربة الإبداعية للتفريق بينها8، كما يمكن التمييز بين ثلاثة فروع قصصية قصيرة جدا وهي: 9

- أولا/ القصة الومضة: وهي شكل قصصي متناه القصر يكتب في : سطر واحد".

- ثانيا/ قصة في دقيقة: وهي شكل قصصي ظهر في المغرب في التسعينات ويعتمد في تصنيفه على عامل الزمن بحيث" لا تتعدى مدة قراءته دقيقة واحدة".

-ثالثا/ القصة المينيمالية: وهي" شكل قصصي وسيط" يقع بين" القصة في دقيقة" و" القصة القصيرة العادية".

ويؤكد"سعيد الريحاني" على حقيقة مفادها أن أغلب الكتاب المغاربة الحاليين يكتبون في الفروع الثلاثة المحددة سلفا بحيث تتجاوز هذه الفروع الثلاثة في مجموعة قصصية واحدة أو في الصفحة الواحدة على المنابر الأدبية الناشرة لها.

10. لكنه يستدرك بقوله:" لكن، ربما في المستقبل، دخل " التخصص" على الخط فصرنا نعثر هنا على قاص في مجال" القصة الومضة" وهناك على قاص ثان في مجال" القصة في دقيقة" وهنالك على قاص ثالث، في مجال " القصة المينيمالية"11.

ويضيف أن الوضوح الوحيد الذي يمكن تسجيله هو أن القصة القصيرة جدا كنوع أدبي وليد وقع ميلاد فروعه الثلاثة وأن الفروق بين هذه الفروع تتشكل وأن قانون التطور الذي يحكم الفنون والعلوم لابد سيصيب القصة القصيرة جدا ليعجل باستقلالية فروعها عن بعضها البعض12.

يبقى هذا مجرد تنبؤ لكن ربما يأتي فيه زمن ويغدو حقيقة لا مفر منها خاصة لما تكثر المدونات في الفروع الثلاثة، ونحن نعلم أن من مهمات النقد الفرز والفصل بين الأنواع وتحديد سمات كل نوع ككيان مستقل بذاته عن غيره ليبقى القانون الوحيد الذي يحكم ويفصل بينها هو قانون التناسل والتوالد، ليصبح الجنس الأصل كشجرة تتفرع عنها الأغصان والأوراق هي بمثابة فروع لهذا الأصل، فكل " الأنواع و الأجناس معرضة للتغير والتحول والتقدم والتراجع"13.

ومن بين المصطلحات التجنيسية القريبة من القصة القصيرة جدا يقول " جميل حمداوي" :" وقد اثبت عبد الرحيم مودن مجموعة من المصطلحات ..القريبة من القصة القصيرة جدا، قصة صغيرة، وأقصوصة في دقيقة، ولوحة قصصية، وخاطرة..."14.

بينما يسعى بعض النقاد جهدهم في متابعة تسميتها التي عانت منها في المراحل المبكرة لظهورها إذ بدأ المؤلفون والنقاد اجتراح تسميات جديدة تتبادل المواقع بتداخل يصعب قبوله أو رفضه للوهلة الأولى، فقصة، أقصوصة، قصة قصيرة، صورة قصصية، قصة قصيرة جدا، القصة اللوحة , والقصة الومضة، مصطلحات برزت في الخطاب النقدي القصصي في دراسة الأنواع القصصية وملاحقة تحولاتها حسب متطلبات العصر وحاجاته الملحة في التغيير وسبر التقاليد الفنية الموروثة ومدى صلتها بهذه الأنواع، ولم تضف المصطلحات المجترحة إزاء القصة القصيرة جدا سوى الاضطراب والضبابية، وقد بلور احمد جاسم الحسين أسباب اجتراحاتها والأهداف التي دعت إلى استعمالها في نقاط أربع15:

- مجافاة التجديد.
- الحرص على التفرد عن الآخر عبر استعمال مصطلحات خاصة.
- محاولة الإساءة إليها أو الانتقاص من قدرها.
- محاولة رفع شأنها عبر نسبها إلى أجناس وفنون أخرى.

ويبدو أن الناقد أهمل (القصة الصرعة، قصص في دقائق، والقصة الصغيرة جدا، والقصة القصيدة)16 ، حين صنفها إلى شعب ثلاث. وهناك تسميات أخرى كالقصة اللحظة "، "القصة البرقية"، "اللقطة" ، "الومضة" ، "الأقصوصة القصيرة"، "اللوحة القصصية"17.

إن تجاهل مصطلح قصة قصيرة جدا والسعي الحثيث إلى توليد مصطلحات جديدة بطريقة انطباعية أو اعتباطية لن يزيد المسألة إلا تشابكا وتعقيدا فـ" ليس من المجدي طرح تسميات بديلة أيا كانت؛ لأن كثرة الأسماء مدعاة للبلبلة والفوضى وليست القيمة في اختراع تسمية جديدة بل القيمة في الاتفاق على المصطلح والأخذ به وإغنائه بالممارسة وحسن الفهم والتطبيق ليستقر، وما كثرة الأسماء إلا دليل تفرق وتمزق ودليل عدائية وعدم اعتراف بالآخر به وما أحوجنا إلى المستويات كلها للقبول والاتفاق والوحدة" 18.

والمتتبع لمسيرتها يرى أن تسميتها بالأقصوصة – لقربها من القصة القصيرة- أو قصة الومضة – لقربها من قصيدة النثر أو الومضة- يشكلان أشد الضغوطات الاصطلاحية عليها، فإذا كانت الأقصوصة توفر للقارئ موقفا جماليا مشروطا إزاء نوع من الكتابة يتصل بالقصة القصيرة من جوانب عدة؛ فإن القصة الومضة تعد تجديدا لمحاولات التقرب من البناء الشعري الذي يعتمد الإيقاع الحاد للرؤيا بدل الإيقاع البطيء للأحداث، وتذبذبت بينهما تسميتها ومثلما لم يضع النقاد حدا فاصلا بين الأقصوصة/ القصة القصيرة، أو بين الأقصوصة/ القصة القصيرة جدا، لم يضعوا فاصلا بين القصة الومضة/ القصة القصيرة جدا أيضا.

يقول "جميل حمداوي":" أطلق الدارسون على هذا الجنس الأدبي الجديد عدة مصطلحات وتسميات لتطويق هذا المنتوج الأدبي تنظيرا وكتابة و الإحاطة بهذا المولود الجديد من كل جوانبه الفنية والدلالية، ومن بين هذه التسميات: القصة القصيرة جدا، ولوحات قصصية، وومضات قصصية ومقطوعات قصيرة، وبورتريهات، وقصص، وقصص قصيرة، ومقاطع قصصية، ومشاهد قصصية والأقصوصة، وفقرات قصصية، وملامح قصصية، وخواطر قصصية، وإيحاءات، والقصة القصيرة الخاطرة والقصة القصيرة الشاعرية، والقصة القصيرة اللوحة، والقصة اللقطة، والكبسولة، والقصة البرقية وحكايات ...وأحسن مصطلح أفضله لإجرائيته التطبيقية والنظرية، و أتمنى أن يتمسك به المبدعون لهذا الفن الجديد وكذلك النقاد والدارسون، هو مصطلح القصة القصيرة جدا؛ لأنه يعبر عن المقصود بدقة مادام يركز على ملمحين لهذا الفن الأدبي الجديد وهما: قصر الحجم والنزعة القصصية."19.

4- القصة القصيرة جدا وكثرة المفاهيم:

عند اطلاعي على جملة من البحوث والدراسات المنجزة عن القصة القصيرة جدا، لاحظت وجود اختلافات جمة وعدم اتفاق بين الدارسين والنقاد فيما يتعلق بمفهوم هذه الأخيرة إذا كل منهم يصوغ لها تعريفا حسب فهمه لهذا الجنس الجديد، أو حسب توجهه، ونحن سنقف عند مجموعة من هذه التعاريف على سبيل التمثيل لا الحصر، هذه المفاهيم حاولت أن تحيط بها من كل الزوايا. فمثلا: "سعاد مسكين" تعَرِّف القصة القصيرة جداً بأنها "ليست موضة (Une mode) أو موجة في الكتابة السردية الجديدة، بل هي صيغة (Un mode) جديدة في الكتابة لها وآلياتها

الجوهرية التي يجب أن تكرس كثوابت ومتعاليات، تتمثل أساساً في الكثافة اللغوية، مع عمق المعنى، وتوسع الرؤية"20.

كما تضيف في موضع آخر قولها:" من وجهة نظرنا، نرى أن القصة القصيرة جداً نوع سردي على اعتبار أن النوع السردي هو كل ما يندرج تحت الجنس، ويحتفظ بخصائص مشتركة تربطه به. بذلك يتميز النوع بالخصائص والصفات، ومجموعها هو ما يحدد الجنس باعتباره مقولة عامة وثابتة، بهذا ترتبط القصة القصيرة جداً كنوع سردي بجنس "القصة" في خصائص مشتركة هي: الحكائية، المفارقة، الكثافة وحدة الحدث"21.

في حين نجد "يوسف حَطّيني" يصرح في كتابه "دراسات في القصة القصيرة جداً" بأنه لم يُوفق الدارسون في تقديم تعريف "جامع مانع" يُخول لنا القبض على ماهية هذا الفن الجديد بوضوح على غرار باقي الأشكال الأدبية الأخرى. ثم قدم الباحث تعريفاً تم استنباطه من أركانها وتقنياتها، فقال: "هي جنس سردي قصير جداً يتمحور حول وحدة معنوية صغيرة، ويعتمد الحكائية والتكثيف والمفارقة ويستثمر الطاقة الفعلية للغة ليعبّر عن الأحداث الحاسمة، ويمكن له أن يستثمر ما يناسبه من تقنيات السرد في الأجناس الأخرى"22.

ويعرفها "جميل حمداوي" بقوله:"القصة القصيرة جداً جنس أدبي حديث يمتاز بقصر الحجم والإيحاء المكثف، والانتقاء الدقيق، ووحدة المقطع، علاوة على النزعة القصصية الموجزة، والمقصدية الرمزية المباشرة وغير المباشرة، فضلاً عن خاصية التلميح، والاقتضاب، والتجريب، واستعمال النفس الجملي القصير الموسوم بالحركية، والتوتر المضطرب، وتأزم المواقف والأحداث، بالإضافة إلى سمات الحذف والاختزال والإضمار. كما يتميز هذا الخطاب الفني الجديد بالتصوير البلاغي الذي يتجاوز السرد المباشر إلى ما هو بياني ومجازي، وذلك ضمن بلاغة الإيحاء والانزياح والخرق الجمالي."23.

وهناك تعريف لمحمد محيي الدين مينو، حاول فيه القبض على جملة من تلك الخصيصات التي تميز هذا الفن، وتنسجم مع طبيعته، يقول فيه: "إن القصة القصيرة جداً حدث خاطف، لبوسُه لغةٌ شعرية مرهفة، وعنصره الدهشة والمصادفة والمفاجأة والمفارقة وهي قص مختزل وامض يحول عناصر القصة من شخصيات وأحداث وزمان ومكان إلى مجرد أطياف ويستمد مشروعيته من أشكال القص القديم كالنادرة والطرفة والنكتة فالشكل قديم ويرجع إلى تلك البدايات وربما يعود إلى الرواد الأوائل لـ(خواطر) محمود تيمور الملحقة بمجموعته القصصية (ما تراه العيون) 1922"24. ويعرفها"احمد جاسم الحسين" "القصة القصيرة جدا نص إبداعي يترك أثرا ليس فيما يخصه فقط بل يتحول ليصير نصا معرفيا دافعا لمزيد من القراءة والبحث فهو محرض ثقافي يسهم في تشكيل ثقافة المتلقي عبر تناصاته ورموزه وقراءاته للواقع وعبر متطلباته التي يفرضها حيث تحث المتلقي على البحث والقراءة"25.

وهي عند "باسم عبد الحميد حمودي" "أنموذج تكثيف الحدث /الموقف الذي يطرحه القاص بهذا الشكل مفضلا عدم طرحه بشكل قصة اعتيادية نظرا لالتهابه"26 ويلامس هذا التعريف رأي "عبدالله ابو هيف" بقوله: "هي شكل من أشكال السرد اشد كثافة وأكثر بلاغة من القصة القصيرة أو المتوسطة" 27.

5- القصة القصيرة جدا النسوية الجز ائرية إلى أين:

يلاحظ المتتبع لمواقف النقاد والدارسين والمبدعين إزاء القصة القصيرة جدا كفن جديد ظهر على الساحة الإبداعية، يضيف "جميل حمداوي" فيما يخص الموقف من القصة القصيرة جدا :"يتبين لنا بأن هناك من يرفض فن القصة القصيرة جدا جملة وتفصيلا، ولا يعترف بمشروعيته وجدواه؛ لأنه يعارض مقومات الجنس السردي بكل أنواعه وأنماطه.

وهناك من يدافع عن هذا الفن الأدبي المستحدث تشجيعا وكتابة وتقريضا ونقدا وتقويما، وذلك من أجل أن يحل هذا المولود مكانه اللائق به بين كل الأجناس الأدبية الموجودة داخل شبكة نظرية الأدب. وهناك من يتريث ترددا، ولا يريد أن يبدي رأيه بكل جرأة وشجاعة، فينتظر الفرصة المناسبة ليعلن رأيه بكل صراحة سلبًا أو ايجابا.

أعترف، شخصيا، وذلك عن قناعة راسخة، بهذا الفن الأدبي الجديد كتابة وإبداعا وقالبا وأعتبره مكسبا لا غنى عنه، وأنه من إفرازات الحياة المعاصرة المعقدة التي تتسم بالسرعة الهائلة، والطابع التنافسي المادي والمعنوي، وذلك من أجل تحقيق كينونة الإنسان ماديا ومعنويا، وإثباتها بكل السبل الكفيلة لذلك، على الرغم من وجود هذا الجنس الأدبي في تراثنا العربي القديم بشكل من الأشكال."28.

استخدام " القصة القصيرة جدًا "29 شاع إلى درجة أننا لا نستطيع تجاهلها ، فعرف روادها أنها" قصة " وفق شروط وتعريفات الفن القصصي المعروفة، و"قصيرة جدًا" ، لأن عدد كلماتها قليل، حتى بالنسبة للقصة القصيرة الاعتيادية.

إذا تراوحت المواقف حول (القصة القصيرة جدا) فمنهم من يرفضها جملة وتفصيلا ويصيغ لهذا الرفض جملة من الحجج، ومنهم من يقبلها بنوع من التحفظ، وتيار آخر يرحب بها ويدعو إلى اعتناق هذا النمط الجديد في الكتابة دراسة وكتابة، ولئن كان هذا موقف النقاد العرب من هذا الفن فما هو حاله في الجزائر؟ بطبيعة الحال تأخر ظهور هذا الفن في الجزائر مقارنة بغيره من دول الوطن العربي وهذا راجع للرفض الشديد الذي لقيه من لدن النقاد والدارسين والدعوة إلى مقاطعته وتخوف دور النشر من طبع أعمال لها صلة به لاعتقادها المسبق بفشله وبالتالي تكبد خسائر هي في غنى عنها، ثم الفكرة الخاطئة المنتشرة حول هذا الجنس، وعدم معرفة القارئ بأصوله حيث أن طبيعة تشكيله كفيلة بجعل القارئ المثقف يقف حائرا أمام المركب الغامض لا يدري

كيف يفك تركيبته؛ لأن هذا الأخير لا يتطلب قارئا مثقف وفقط بل قارئا من نوع خاص كما يتطلب أيضا مبدعا من نوع خاص.

ويتنبأ بعض النقاد بأن هذا الفن سيلقى المصير نفسه الذي لقيه الشعر الحر وأنه لابد سيعلن عن فشله ؛ لأنه يحمل في طياته بذور فنائه، لكن ما هو ملاحظ هو ازدياد عدد اللذين يكتبون في هذا مثل النوع خاصة في بعض الدول كالمغرب التي يمكن عدها رائدة سواء من حيث السبق أو عدد المنشورات أو الذين يكتبون ومن كلا الجنسين ثم تليها سوريا والعراق ومصر وتونس...وما أود أن أشير إليه هو أن الحركة النسوية في هذا المجال ومنذ بدايتها ما انفكت تزداد وفي كل مرة تنضم إلى هذا الركب أسماء أخرى، على أنه لا يمكن القول أن كل محاولة تظهر لا يمكن تصنيفها مباشرة في خانة الإبداع الذي يتقيد بشروط الكتابة المتعلقة بهذا النوع فإلى جانب ظهور أضمومات تمثلت الهندسة التشكيلية والفنية لهذا الفن عن جدارة واستطاعت أن تعكس البراعة والمقدرة التي تتمتع بها صاحباتها، ظهرت في المقابل مجموعات أخرى لا يمكن عدها قصصا قصيرة جدا بأي حال من الأحوال ولا تملك من هذا الفن سوى الاسم فقط.

خاتمة:

وما ينبغي التأكيد عليه في الأخير هو أن هذا الفن لا ينفك يسير نحو تأكيد وجوده مثله مثل باقي الأجناس الأدبية وأن التجربة النسوية الجزائرية هي بدورها تسعى إلى اللحاق بركب المبدعات في هذا الفن سواء في العالم أو الوطن العربي، وما ظهور أسماء جديدة في كل مرة، أو توالي المنتجات القصصية إلا دليل على اكتساب هذا الجنين الجديد مشروعيته وهو آخذ في النمو والتطور باستمرار وذلك بانفتاحه على مختلف الفنون والأجناس الأدبية.

فرغم المعارضة التي يلقاها هذا الفن في الجزائر، إلا أنه سيأتي يوم يلقى فيه قبولا واحتضانا على نطاق واسع، وخير دليل ما تنتجه أقلام هؤلاء المبدعات.

الهوامش:

[1] - آمال شتيوي،"قاب قوسين"،قصص قصيرة جدا، المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، ، د ط،2016م، ص10-11. من تقديم: د- مسلك ميمون.

[2] - استطلاع نوارة لحرش، http//:www.google.com

[3] - انظر : استطلاع نوارة لحرش. على الرابط: http//www.djazzairess.com/annasr/66142

[4] - عبد الواحد أبجطيط، خصائص القصة القصيرة جدا عند ميمون حرش، ص4.

[5] - إبراهيم، قص الحداثة، مجلة فصول، مج6، العدد4، ص 105.

[6] - ساروت ناتالي، انفعالات، ط1، 1979م، ص25.

[7]- امتنان عثمان الصمادي، القصة القصيرة جدا بين إشكالية المصطلح ووضوح الرؤية: مجموعة " مشي" أنموذجا،دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 34 العدد1، 2007م. ص 145.

[8] - ذهني، تذوق الأدب طرقه ووسائله، ص137.

[9]- محمد سعيد الريحاني، حاء الحرية خمسون قصة قصيرة، منشورات وزراة الثقافة المغربية، سلسلة إبداع، مطبعة المناهل، 2014م، المغرب، مداخلة ألقيت في اليوم الثاني من الملتقى الوطني السادس للقصة القصيرة بالمغرب الذي نظمته جمعية النجم الأحمر للتربية والثقافة والتنمية الاجتماعية أيام 8-9-10 ماي2009م، مشرع بلقصيري.ص3-4.

[10] - محمد سعيد الريحاني، المرجع نفسه، ص4.

[11] - المرجع نفسه، ص4.

[12] - المرجع نفسه، ص4.

[13]- أليكس كيجان، ما لقصة القصيرة؟ تر: محمد عبيد الله، فيلادلفيا الثقافية، ص45.

[14] - جميل حمداوي، دراسات في القصة القصيرة جدا، شبكة الالوكة، 2013، ص12.www.alukah.net

[15]- القصة القصيرة جدا, مقاربة بكر: 22-23.

[16]- ينظر: القصة العراقية القصيرة جدا, عن المصطلح والصورة التاريخية, باسم عبد الحميد حمودي, مجلة الأقلام العراقية، العدد: 11-12، السنة 1988، ص 272.

[17] - فاروق مواسي، القصة القصيرة جدا، وإلى أي مدى هي قصيدة نثر؟ أكاديمية القاسمي، باقة الغربية حيفا، د ت، د م. ص3.

[18]- أحمد زياد محبك، قصيدة النثر في التسعينيات من القرن العشرين في سوريا, ص 12.

[19] - جميل حمداوي،القصة الفصيرة جدا جنس أدبي جديد، السبت 4 أوغست 2012م. www.blogger.com.

[20]- سعاد مسكين، القصة القصيرة جداً بالمغرب (تصورات ومقاربات)، دار التنوخي، الرباط، ط 1، 2011م، ص 141.

[21] - سعاد مسكين، القصة القصيرة جداً بالمغرب (تصورات ومقاربات)، ص 42، بتصرف.

[22] - يوسف حطيني، دراسات في القصة القصيرة جداً، مطابع الرباط نت، ط 1، 2014م، ص 108.

[23]- جميل حمداوي، من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جداً (المقاربة الميكروسردية)، نشر شركة مطابع الأنوار المغاربية، وجدة، ط 1، 2011م، ص 8.

[24]- محمد محيي الدين مينو: فن القصة القصيرة، مقاربات أولى، مسار للطباعة والنشر، دبي، ط3، 2012م، ص 43.

[25] - احمد جاسم الحسين، القصة القصيرة جدا، ص 18.

[26] - القصة العراقية القصيرة مشكلاتها وآفاق تطورها بعد ثورة السابع عشر من تموز 1968، باسم عبد الحميد حمودي، مجلة الأقلام، العدد 2، تشرين الثاني، 1978م، ص 135.

[27] - عبد الله أبو هيف، ظاهرة القصة القصيرة جدا، مجلة الآطام العدد الحادي والعشرون، كانون الثاني، شباط، 2005م، ص 72.

[28] - جميل حمداوي،القصة الفصيرة جدا جنس أدبي جديد، السبت 4 أوغست 2012م. www.blogger.com.

[29] - يرى أحمد جاسم الحسين أن فتحي العشري هو أول من نقل هذا المصطلح إلى العربية، وذلك عندما نقل كتاب ناتالي ساروت انفعالات إلى العربية ، سنة 1971م. انظر : الحسين، أحمد جاسم، القصة القصيرة جدًا، ص 108.